ابن تيمية والمنطقيون

للاستاذ ابراهيم الابياري

أتعرف الشيخ الحجاج المغلب حجة الحنابلة غير مدافع أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. يعرفه الشوكاني محمد بن علي فيقول: أما لا أعلم بعد ابن حزم[1] مثله، وما أظن الزمان سمح ما بين عصري الرجلين عن سابهما أو بقاربهما.

ويسبقه ابن حجر أحمد بن علي فيقول فيه: وفاق الأقران وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول.

ومن قبله يقول الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي. واللفظ يكاد يكون لي: كان آية من آيات الله، السنة نصب عينيه، لم ير أشد منه استحضاراً للمتون، ولا أقدر في مسائل الخلاف.

وقريب من هذا ما قاله ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ثم ابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد.

وغير هذا فقد أفرد له غير واحد كتاباً، فخصه المقدسي محمد ابن أحمد بالعقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وصفى الدين البخاري بالقول الجلي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي، والكرمي مرعي بن يوسف بالكواكب الدرية في مناقب الإمام ابن تيمية.

وتقرأ المستشرقين عنه ما كتبه «غولد زيهر» في دائرة المعارف. ثم تلك الدراسة الممتعة الجامعة للأستاذ الكبير «هنري لاوست».

وإن لم تغن فاليك جملة مما ألف الرجل تنبيك عن همة لا تفتر وقلم لم يجف وعمر حافل معمور الأيام والليالي. ذكروا أنها تزيد على أربعة آلاف كراسة، كما ذكروا أنها بلغت ثلثمائة مجلد.

أسمى منها. الجوامع في السياسة الإلهية أو الفتاوى، والإيمان. والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان في أولياء الله وأولياء الشيطان. والواسطة بين الحق والخلق، ومجموع رسائله، وقد أحصيت فيه تسعاً وعشرين رسالة. ثم كتابه الذي هو قطعة من عقله وفكره «الرد على المنطقيين».

ابن تيمية من هؤلاء النفر الذين أكدتهم عقولهم وعاشوا لما يدينون به ينفحون عنه ويجأرون به، يستمرئون ما يعانه الوادعون، ويحلو لهم ما يمر على مذاق الخاسئين، يصمدون للأحن لا يهنون، وللنكبات لا يرعون، ثم إذا هم بأخرة قد اجتمع الناس لهم على الرأي الذي كافحوا له وغالبوا.

وكذلك كانت حياة ابن تيمية، سعى به بيبرس الجاشنكير، فضمه السجن أعواماً فما استكان، وكأنه ما خرج منه إلا ليعود إليه ثانية وثالثة، وهو هو إلى أن مات رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ وإذا الألسن كلها ثناء، وإذا ما كتب وألف متعة الأعين، وإذا ما رأى حديث المجالس.

جلست إلى ابن تيمية وهو آخذ بخناق المنطقيين في كتابه «الرد على المنطقيين» يبادلهم بالرأي رأياً، وبالحجة حجة، فأنست بالرجل في عقله وتفكيره، وما كنت أعرف قبل ذلك أن ابن تيمية يقوى لأرسطو فيوهن من مقاييسه ويضعف من أدلته.

وأنت إذا استمعت إلى ابن النديم في الفهرست حفظت عنه كتب أرسطو الثمانية في المنطق وهي، المقولات، والعبارة، وتحليل القياس، والبرهان، والجدل، والمغالطون، والخطابة، والشعر. ثم إذا جريت معه قليلا عرفت من ترجم هذه الكتب إلى العربية ومتى نقلت.

وتعجب حين ترى جمهرة من المفسرين والمحدثين والفقهاء كتاب المنطق لأرسطو في حفر، وكادوا ينسبون من نظر فيه إلى الزندقة. ولن ننسى رسالة السيوطي جلال الدين في تحريم علم المنطق، ثم لا ننس تلك الحرب الصاخبة التي هي أوارها بين المنقوليين والمعقوليين والتي خرج منها علماء المعقول زنادقة ملحدين،

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. عالم الأندلس في عصره. وفيه يقول ابن العريف. كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين. وكانت وفاته سنة ٤٥٦ هـ